

الصور الوالدية: دراسة حالة مراقة متكفل بها في مصلحة

الطب العقلي

بورافة هجرة □ وقهار صبرينة □

تاريخ الارسال: 2019-01-22 تاريخ القبول: 2019-05-15 تاريخ النشر: 2019-06-30

ملخص:

تعدّ المراهقة فترة صاخبة من النمو بسبب التغيرات التي يحدثها البلوغ على المستوى الجسدي للفرد، والتي تحدث بدورها تغييرات في توازنه النفسي وسلوكه بشكل عام، إلا أن هذه الفترة أصبحت بمرور الوقت أكثر صخبا وأكثر تأزما، بل وأصبح المرور بها في بعض الأحيان مرضيا، ويتطلب تدخلا خاصا من قبل القائمين على الصحة النفسية وحتى العقلية للمراهقين في عديد المؤسسات من أجل مساعدتهم على تجاوزها والتخفيف من حدة أعراضها.

وللتذكير فإنّ النمو النفسي للفرد لا يمكن أن يحدث إلا في إطار ديناميكي وعلائقي، حيث يركز بناء الشخصية في الأساس على العلاقات الأولى بالأم والأب وبالصور المستدخلة عنهما، وعليه فمن المنطقي التفكير في أنّ الخلل في استدخال الصور الوالدية أو الاستدخال السيئ لها من شأنه أن يكون له عواقب على النمو النفسي السليم، في هذا الصدد كان موضوع بحثنا هو دراسة طبيعة الصور الوالدية عند المراهقات اللواتي تعشن أزمة مراقة، بهدف معرفة كيف ستعمل هذه الصور على دعم النمو النفسي للمراهق، وجعله قادرا على تجاوز

¹مختصة نفسانية عيادية، طالبة دكتوراه تخصص علم النفس العيادي.

²أستاذة محاضرة في قسم علم النفس، مختصة نفسانية عيادية.

تغيرات النمو الفيزيولوجية المفاجئة التي تصاحب فترة البلوغ، وتضعه في أزمة تستدعي منه إعادة ترتيب وبناء شخصيته من جديد.
الكلمات الدالة: الصور الوالدية، المراهقة، أزمة المراهقة.

Résumé :

L'adolescence est la période la plus bruyante dans le développement de la personne à cause des modifications que la puberté apporte sur plan physique, et qui modifie à son tour l'équilibre psychologique de l'individu en général.

On observe que cette période devient de plus en plus difficile, et même dans certains cas pathologique qui nécessitent des interventions par des spécialistes de la santé psychique et même mentale dans des nombreuses institutions afin d'aider l'adolescent à surmonter sa crise et alléger ses symptômes.

Rappelons que le développement psychologique de l'individu ne peut s'inscrire que dans un contexte dynamique et relationnel, car la construction de la personnalité s'appuie principalement sur les premières relations avec la mère et le père et sur les images construites sur eux. Logique alors de penser que la mauvaise intériorisation des images parentales peut entraîner des conséquences sur le développement de l'individu, en ce sens nous avons décidé d'analyser les images parentales chez les adolescentes en période de crise, afin de déterminer comment ces images soutiennent le développement psychologique des adolescents, et permettent de surmonter les changements de développement physiologique qui accompagnent la puberté.

Mots-clés : Images parentales, adolescence, crise d'adolescence

1. مقدمة:

يأخذ مصطلح المراهقة معاني مختلفة ومرتبطة بعضها البعض ، فهي مفهوم زمني وفترة امتداد تبدأ مع بداية ظهور العلامات الأولى للبلوغ الجسدي ، أما نهايتها فتحددها أكثر العوامل الاجتماعية والثقافية للفرد والمرتبطة خصوصا بالقدرة على الاستقلالية واتخاذ القرارات. (Cannard, 2010)

ولقد أكد نيني (Nini.2014) بأن مرور الفرد من وضعية الطفولة إلى وضعية الرجل المتزوج أو المرأة المتزوجة في المجتمع الجزائري التقليدي كان يتم دون المرور بأي مرحلة انتقالية ، فهذه المرحلة أوجدتها حسب التغيرات الاجتماعية والثقافية التي عرفت الجزائر (النظام التربوي وكذا نظام الشغل)، والتي أدت إلى اعتبار الشخص الذي هو في هذه المرحلة شخصا مهمشا تائها بين مجموعتين غير متشابهتين (مجموعة الأطفال ومجموعة الراشدين). وعلى العموم يمكننا القول بأن مرور الفرد بمرحلة المراهقة في المجتمعات الحالية قد أصبح حتميا ، كما أصبح تجاوزه لها دون الوقوع في الاضطراب يعتبر بمثابة إنتصار حقيقي له ، ولهذا نجد الكثير من الباحثين يتحدثون عنها بوصفها كأزمة أكثر مما يعتبرونها كمرحلة (Debesse,1936)،

(Erikson,1959)، (Male,1964)، (Kestemberg,1980)، فهي توحى حسبهم إلى التغيير في السلوكات وإلى المعاناة والقلق الذين يعيقان تكيف الفرد في الحياة اليومية. (Claes, 1986, p.60)

ولقد ذهبت كاستنبرغ إلى أبعد من ذلك في وصفها لأزمة المراهقة فحسبها : «لن يكون البلوغ والمراهقة حرجين فقط، ولكنهما قد يكونان صادمين بفعل إذهالهما للأنا وجعله مضطربا إلى درجة أنه قد يصبح غير قادر على

استعمال دفاعاته السابقة في هذه الوضعية الجديدة، فيعود للتشبث بالهوامات». (In Marcelli & Braconnier, 2004, p.49)

كما حاول العديد من الباحثين تحديد الصعوبات التي من الممكن أن يتعرض لها المراهق، وأبدوا نوعا من الاتفاق فيما يخص إمكانية التغلب عليها، ويتوقف ذلك حسبهم على عدة عوامل : حيث ألح إركسون (Erikson, 1959) على الدور الأساسي لمرحلة الطفولة والثقافة التي يعيش فيها الفرد، كونهما يساعدان على السير الحسن لحل الأزمة ، أما كاستنبرغ (Kestenberg, 1980) فقد اعتبرت بأن القدرة على التخلي عن الهوامات واستبدالها بمشاريع مستقبلية هي عوامل محفزة من شأنها تسهيل تجاوز الأزمة. (بهتان وجبال ، 2015 ، ص. 150)

وبالعودة إلى مرحلة الطفولة كما أشار إركسون فإننا سنعود لا محالة إلى أهم شخصين في حياة الطفل وهما الأب والأم، حيث أكد آيت سيدهم على دور الأولياء في التكوين الشخصي للفرد من خلال قوله: «ليس من المفاجئ رؤية الصور الوالدية التي تعمل على دعم التقمصات تأخذ أهمية رئيسية في التوظيف النفسي وفي تكوين الشخصية». (Ait Sidhom, 1984, pp.46-47)، وهو الأمر نفسه الذي أكد عليه لوغرون حيث ذكر : «يسير مع الطفل مجموع مختلط من الصور حتى سن البلوغ ، واضطراب ذلك سيعني صعوبة بالنسبة للمراهق في مواجهة ما تنتجه التطورات الاجتماعية على بنيته النفسية». (Legrand, 1983, p.178)

بهذا المعنى يتضح لنا بأن حضور الوالدين يعد أمرا هاما في حياة الفرد فإذا ما استدخلت صورتها بطريقة حسنة في الواقع في مرحلة الطفولة ، فإنها ستكون بالنسبة للمراهق مقاومة لكل ما سيعترض حياته من صعوبات ،

وهذا ما تؤكدته النتيجة التي توصل إليها الباحثين دوفين وأندرسون (Dovin & Anderson, 1966) أثناء دراستهما لعينة من المراهقين حيث وجدوا خلالها بأن الصور الوالدية كان لها تأثير كبير على تشكيل الهوية لديهم. (Claes, 1994, p.62)

وعليه فمن منطلق أن الصور الوالدية تعتبر قاعدة بناء وتكوين الشخصية عند الطفل ، ومن منطلق أن المراهقة هي فترة أزمة يعاد فيها ترتيب الشخصية والبحث عن الهوية بحسب قول كاستنبرغ : «الصعوبات التي يلاقيها المراهق تتمثل في ذلك اللقاء الشاق مع نفسه ومع الآخرين وفي ضرورة إعادة ترتيب الشخصية من خلال حركية جدلية بين الهوية والتماهيات» (Kestemberg, 1971, p.441)، فإننا ارتأينا دراسة طبيعة الصور الوالدية عند المراهقات بهدف الوقوف على دور هذه الأخيرة في تجاوز أزمة المراهقة ، بمعنى معرفة كيف سيؤثر الخلل أو الاضطراب في استدخال الصور الوالدية على السير العادي للنمو في المراهقة ، وعلى هذا الأساس كان التساؤل الذي طرحناه على النحو التالي:

كيف ستظهر الصور الوالدية عند المراهقات اللواتي تعشن أزمة مراهقة؟ وللإجابة عن هذا التساؤل افترضنا بأن هذه الصور ستكون سيئة وغير بناءية أو أقل بناءية.

2. منهج الدراسة:

يعرّف المنهج بأنه: «مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم» (بوحوش والذنيبات ، 1995 ، ص.89)، ولقد اعتمدنا في دراستنا هذه على نمط دراسة الحالة ضمن المنهج الوصفي. (سمير نعيم أحمد، 1987، ص.188).

3. مجموعة البحث:

لقد قمنا باختيار حالة المراهقة " شيماء " المتكفل بها في مصلحة الطب العقلي بشكل قصدي بما يتلاءم والمعايير التي قمنا بوضعها لاختيار حالات الدراسة.

4. أدوات البحث:

1.4. المقابلة العيادية نصف الموجهة:

أكد *إنجلش* بأن المقابلة تعتبر : «حادثة موجهة يقوم بها فرد مع آخر أو مع أفراد بهدف حصوله على أنواع من المعلومات لاستخدامها في بحث علمي أو الإستعانة بها في عمليات التوجيه والتشخيص والعلاج » (عن محمد شفيق ، 1985 ، ص.109)، ولقد هدفنا من خلالها جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات فيما يخص علاقة المراهقة بها لديها ، وخصائص الصور المعطاة لها.

2.4. اختبار تفهم الموضوع TAT:

كان اختيارنا لهذا الاختبار دون باقي الاختبارات لأنه يخرّص على إشكاليتين هامتين لديهما علاقة مباشرة مع موضوع البحث ، ويتعلقان: بالمحور النرجسي الذي يختبر تصور الذات بمفاهيم الهوية والتقمصات ، والمحور الموضوعي الذي يختبر نوعية استثمار تصورات العلاقات. (Brelet & Chabert, 2003, pp.38-39)

5. دراسة حالة:

1.5. تقديم وتحليل معطيات المقابلة العيادية نصف الموجهة:

يتعلق الأمر بالمبحوثة "شيماء" التي تبلغ من العمر 15 سنة، الثانية في الترتيب بين إخوتها الأربعة، والدها متقاعد من الجيش الوطني الشعبي ولديه 54 سنة من العمر، أما والدتها فتبلغ من العمر 42 سنة، وهي تدير مشروعا صغيرا لبيع الملابس المستوردة.

تمّ لقاءنا بالمبحوثة بمصلحة الطب العقلي للأطفال والمراهقين بمستشفى فرانز فانون بالبلدية، حيث قامت والدتها بإحضارها لهذه المصلحة على إثر محاولاتها المتكررة للانتحار، وفي أثناء لقائنا بها حاولت هذه الأخيرة تبرير مرورها للفعل الانتحاري قائلة: «كينكون ماشي مليحة مع دارنا نخم نقتل روحي»، كما أنها أرجعت سبب تفكيرها في الانتحار أيضا إلى ضغط الدراسة حيث ذكرت: «هذي الخطرة اللخرة ختمت نسويسيدي على جال "BEM"».

فيما يخص محور الصور الوالدية فقد غلب على إجابات شيماء عن أسئلة المقابلة العيادية نصف الموجهة الانتقاد الشديد لوالديها، الذين أظهرتهما في صورة جد سيئة فيها الكثير من خصائص التخلي، الاضطهاد والعدوانية.

فأثناء حديثها عن والدها ظهر نوع من التعارض في وصفها له: «c'est normal mais fois les gestes vrais que des normal proche أكثر من أمي شويا»، ولقد كانت هذه التصرفات غير عادية حسبها لأنه كان يعاملها بازدراء: «كيتوض ندير كاش حاجة يقولي راقدة تخدمي بـ répétition يعايرني وأنا مانريبونديش»، «نزعف puisque كينوض يهدر ينوضو هما قع يهدرو، مانبيش نكمل خدمتي من بعد نروح نبكي»، لكن رغم معاملته السيئة لها إلا أنه يبقى حسب رأيها أقرب إليها من

والدتها ولو بشكل طفيف: « normal proche أكثر من أمي شويا، أكثر من أمي»، «يعيط، malgré يعيط بصح papa خير منها»، لكنها لا تنفك عن الانتقاد المستمر له لأنه حسبها غير عادل في معاملته لأولاده: «مع خاوتي plus proche كنا كي نقراو أنا دائما قبل خويا، أنا نقرا خير عليه، يقول كي تحي الأولى نشريلك من بعد مايشريليش، كان يشري لخويا وأختي وأنا لالا».

ولم تتمكن "شيماء" من إظهار أي صفة إيجابية لوالدتها أو لعلاقتها بها، حيث انهمرت بالبكاء أثناء حديثها عنها، وبحسب قولها فإنّ والدتها قد تخلّت عنها في صغرها: «ماما كي زدنا أنا وخويا وجينا توام قالتلها أماني بزاف عليك أعطيني نعاونك، خيرت خويا ومدّتي أنا لماني»، ولهذا تتصف علاقة "شيماء" بوالدتها بالفراغ العاطفي والذي ظهر من خلال قولها: «... مكانش...»، فهي لا تعترف بوجودها وتعتبرها أمّا سيئة وغير عادلة في معاملتها لها مثلها مثل والدها: «عنصرية، تميز بيناتنا»، «تقصّر معاهم normal كي يجو يشرو حاجة بالاك تقولهم ماتشروهاش وتضبح من بعد يشرو».

أما فيما تعلّق بمحور الحياة المستقبلية فإنّ "شيماء" قد ذكرت: «أنا حابة نولي في العسكر ولا محامية كبيرة، نحب العسكر كيما papa»، لكن رغم هذه الإسقاطات التي توحى على العموم بإمكانية تسهيل تجاوزها لأزمة المراهقة، إلّا أنّ عدم قدرتها على تحمل الإحباط والذي ظهر من خلال محاولاتها الانتحارية المتكررة أمام أي مشروع مثل مشروع شهادة التعليم المتوسط: «لوكان ماجبش "BEM" نقتل روعي» يجعلنا نتساءل عن قدرة المبحوثة

على تجاوز الأزمة وتحقيق أهدافها التي كانت مرتبطة أكثر بإسقاطات عظامية وبتضخيم الأنا.

وعليه أظهرت المبحوثة من خلال المقابلة العيادية نصف الموجهة التصور السيء للوالدين، والذي تدعم بإسقاطاتها المستقبلية التي تنبؤ بالصعوبة التي تنتظرها لتجاوز أزمة هذه المرحلة العمرية، وهذا ما يؤكد مجددا غياب صور بناءية تسمح لها بتصوير ذات واضح في المستقبل.

2.5. تقديم نتائج اختبار تفهم الموضوع (TAT) لـ «شيماء»:

1.2.5. خلاصة سياقات (TAT):

سياقات الرقابة (A)	سياقات المرونة (B)	سياقات الكف (C)	السياقات الأولية (E)
A2/3=02	B1/2=04	CP1=57	E1=07
A2/4=02	$\Sigma B1=04$	CP2=04	E4=04
A2/5=03		CP3= 16	E5=01
A2/6=03	B2/1=01	CP4= 03	E6=01
A2/8=12	B2/3=09	CP5=02	E7=11
A2/10=04	B2/4=03	$\Sigma CP=82$	E8=04
A2/11=01	B2/6=01		E9=06
A2/13=06	B2/8=02	CN1=05	E10=03
A2/17=03	B2/9=02	CN2=04	E11=01
	B2/10=01	CN3=02	E12=02
	B2/12=06	CN4=03	E14=09
	$\Sigma B2=25$	CN5=04	E15=03
		CN7=01	E16=03
		CN8=01	E17=10
		CN9=01	E18=03
		CN10=01	E19=03
		$\Sigma CN=22$	E20=06
		CM1=07	
		CM2=09	
		$\Sigma CM=16$	
		CC1=05	
		CC2=03	
		$\Sigma CC=08$	
		CF1=01	
		CF2=03	

	CF3=02 $\Sigma CF=06$		
$\Sigma E=77$ (27.90%)	$\Sigma C=134$ (48.5%)	$\Sigma B=29$ (10.50%)	$\Sigma A=36$ (10.50%)

2.

5. تحليل نتائج راتز تفهم الموضوع (TAT):

استنادا على نتائج اختبار تفهم الموضوع (TAT) لحالة «شيماء» توصلنا إلى استخلاص ما يلي:

❖ من الناحية الرمزية وفيما تعلق بمحتوى اللوحات خصوصا اللوحة 10 ورغم محاولة المبحوثة إعطاء خطاب له علاقة بالتقارب الأوديبى وتكامل الصورة الجسدية، إلّا أن غياب تعريفها بالأشخاص وكذا استعمالها المفرط للسند حال دون إبراز الموضوع الجنسي، وأبقى نوعا من الغموض في ترسيم الحدود بين الذات والآخر، كما شكل غياب إدراكها التام للقلق البدائي للوحة 11، وعدم إدراكها لإشكالية اللوحة 19 مؤشرا مرضيا في علاقة مع الصورة الأمومية. (Shoutoub,1990) ولقد تم تسجيل الغموض في ترسيم الحدود بين الذات والآخر أيضا من خلال بروز السياقات الأولية المتمثلة خصوصا في إدراك الموضع المحطمة (E6)، خلط الهويات (E11) وعدم استقرار الموضع (E12)، وكذا غياب سياق (A2/1) الخاص بالتعلق بالتفاصيل أثناء الوصف، وسياق (CN6) الخاص بالتأكيد على رصد الحدود والأطر.

كما جعل التواجد المعبر لسياق (CN8=04) الخاص بالمصادر الذاتية (اللوحة 9GF: «عزيزتي لا تستسلمي»، اللوحة 13B: «في هذا البيت أشعر بمدى السعادة»)، المبحوثة تقترب أكثر من الانصهار بالموضوع،

وهذا ما يفسر ويررّ التواجد الكبير أيضا للسياقات المميزة لاضطرابات الهوية على اختلافها (E14)، (E15) و (E16)، والمتعلقة بإدراك المواضيع السيئة، انشطار الموضوع وكذا البحث الاعتباري عن مغزى الصورة، والتي تثبت مجددا الصعوبة في العلاقة مع الذات ومع المواضيع.

❖ هذا وقد أظهر الحضور المكثف لسياق (CP3=16) المتعلق بعدم التعريف بالأشخاص، وعدم إدراك المبحوثة للإشكالية الأوديبية للوحة 2، وكذا عدم تقبلها للتقارب بين الجنسين للوحة 4، صعوبة تحديدها للهوية الجنسية، ضف إلى ذلك فإن حضور سياق (B2/8) المتعلق بالتعجبات والتقديرات الشخصية، وكذا سياق (B2/12) المتعلق بمواضيع القول قد أظهرها صعوبة المبحوثة في تقمص صورة الأم. (سي موسى وابن خليفة، 2010، ص.193)

وهكذا يتبين لنا بأن السياقات المستعملة من قبل "شيماء" قد عكست البناء الهش للذات، أمام عدم وضوح الحدود الجسدية وصعوبة استدخال مراجع الهوية الجنسية، وذلك راجع لغياب استدخال الصور الوالدية البنائية.

3.5. المناقشة والتفسير:

ترجمت لنا المبحوثة من خلال إجاباتها في المقابلة العيادية نصف الموجهة إدراكها السيئ لمعاملة والديها لها، والتي ظهرت من خلال خصائص التخلي والاضطهاد والعدوانية، الأمر الذي آل بها في النهاية إلى إعطاء صورة سلبية عنهما، وهو نفس الأمر الذي لاحظناه عن تلك الصور في (TAT) والتي كانت هي الأخرى سيئة وغير بنائية ظهرت من خلال التصور الهش للذات، والذي يشير إلى تحقق فرضية البحث التي تنص على أن المراهقات اللواتي تعشن أزمة مراهقة تتصف الصور الوالدية عندهن بأنها سيئة وغير بنائية،

وقد جاء محور المشاريع المستقبلية في المقابلة العيادية نصف الموجهة ليثبت بأن هذه الصور لم تكن حقا بنائية لأنها لم تساعد على إسقاط مشاريع بناءة في حياتها المستقبلية، وأبقته تتخيل مستقبلها تحت وطأة الاضطهاد الذي تعيشه مع والديها وهذا ما ظهر في خطابها في اللوحة 16 من اختبار تفهم الموضوع (TAT) وعمل على دعم فكرة صعوبة تجاوزها لأزمة المراهقة.

ولقد تماشت هذه النتائج مع آراء الباحثين الذين سبق ذكرهم وتوافقت مع نتائج دراساتهم، فعلى سبيل المثال لا على سبيل الحصر أكد كل من دوفين وأندرسون (Dovin & Anderson, 1966) أثناء دراستهما لعينة من المراهقين على دور الصور الوالدية في تشكيل وبناء هوية المراهق ونضجها بشكل إيجابي، كما توصل آيت سيدهم (1984) من خلال دراسته التي حملت عنوان: «التعبير عن الصور الوالدية عند المراهقات الجزائريات الجانحات»، إلى أن الصور الوالدية عند هؤلاء المراهقات كانت تتميز على العموم بالخصائص السلبية المتمثلة خصوصا في غياب الحب والحماية، وحضور العدوانية والتناقض، كما أثبتت دراسة أشرف علي السيد عبده (1996) في السعودية التي كانت حول صورة الأب لدى مدمني الكحول والهيروين الحضور السيء لتلك الخصائص عند الأب مثل: حب السيطرة، العدوانية، النبذ والإهمال.

في الأخير يمكننا القول من خلال هذا العرض الموجز لحالة مراهقة تتبع حصص معالجة عند طبيب مختص في الأمراض العقلية للأطفال والمراهقين، بأن الصور الوالدية تبقى الركيزة الأساسية التي تدعم تقمصات المراهق وتساعد على بناء شخصيته وتجاوز العقبات التي تعترض نموه، فإذا ما استدخلت هذه الصور بشكل سيء فإنها سوف تعترض البناء السليم لشخصيته وسوف تدفع به إلى مختلف الإضطرابات والأزمات النفسية.

المراجع:

1. أشرف علي السيد عبدة. (1998). صورة الأب لدى المدمنين. علم النفس ، رقم 45 ، 99-96.
2. بهتان ، ع. وجبالي ، ن. (2015). تجليات اضطرابات مرحلة المراهقة. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، 13-14 ، 146-156 .
3. بوحوش، ع . والذنيات، م، م. (1995). مناهج البحث العلمي . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
4. سي موسي، ع، ال. وبن خليفة، م. (2010). علم النفس المرضي التحليلي والاسقاطي . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
5. سمير نعيم أحمد. (1987). المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية . القاهرة: مكتبة سعيد رأفت.
6. شفيق، م. (1985). البحث العلمي. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
7. Ait Sidhom, A. (1984). Expressions des images parentales chez les jeunes filles algériennes délinquantes, une étude descriptive et comparative. Thèse de doctorat 3 eme cycle Paris 5. Paris.
8. Brelet, F., & Chabert, C. (2003). Nouveau manuel du TAT. Paris : Dunod.□
9. Cannard, C. (2010). Le développement de l'adolescent : L'adolescent à la recherche de son identité (1è éd). Bruxelles : De boeck
10. Claes, M. (1994). L'expérience adolescente. Paris : Pierre Margada.
11. Legrand, M. (1983). Psychanalyse ; science ; société. Paris : Pierre Margada.□
12. Marcelli, D., & Braconnier, A. (2004). Adolescence et psychopathologie (6è éd). Paris: Masson.□
13. Nini, M, N. (2014). L'adolescence en Algérie, Psychologie, SARP, n°21, 06-27.
14. Kestemberg, E. (1971). L'identité et l'identification chez l'adolescent. Psychiatrie de l'enfant, 5, 441-522.□
15. Shentoub, V. (1990). Manuel du TAT. Paris : dunod.□